

التصور الإسلامي لمفهوم البركة وأهميتها في العملية التربوية التعليمية

وائل معين إسماعيل

wail77@yahoo.com

رحيمي محمد سعد

rahimisaad@um.edu.my

زواوي اسماعيل

zawawiismail@um.edu.my

كلية التربية، جامعة ملايا

الملخص

إن غياب مفهوم البركة عن ميدان التربية والتعليم في واقعنا المعاصر والفهم الخاطئ له يقف وراء كل مشكلة نواجهها في التربية والتعليم في شتى مراحلها، كما يعتبر عامل أساسياً في عدم الثبات والنمو في الإنتاج المعرفي وتأخره عما كان عليه علماءنا وسلفنا الصالح بالرغم من التقدم والتكنولوجيا التي منّ الله به على الناس في زماننا. كما أن غياب النصوص الشرعية والآثار ومنهج السلف الصالح في التعلم والتعليم، واتباع وتقليد المناهج الغربية مسؤولة عن تقلص العلم في مجتمع المسلمين المعاصر، وظهور المدارس والنظريات الحديثة في التربية والتعليم والتي طغت على منهج الإسلام في العلم والتعلم. تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن التصور الإسلامي لمفهوم البركة، وتوضيح أهميته في العملية التربوية التعليمية بما يؤدي إلى رفع مستوى الإنتاج وثبوت الخير الإلهي فيها (البركة) وذلك من خلال الإجابة على السؤال الآتي: ما التصور الإسلامي لمفهوم البركة، وما هي الأهداف التربوية التي يعكسها ذلك التصور على التربية والتعليم؟ للإجابة على سؤال الدراسة قام الباحث بجمع النصوص والآثار الشرعية واستخلاص المفاهيم والأهداف التربوية من هذه النصوص؛ حيث خلص الباحثون إلى تسعة مفاهيم هي: العلم قرين الإيمان والفهم والتعقل، إخلاص النية في طلب العلم، ترك المراء، لزوم الجماعة وعدم الفرقة، اتباع أكابر العلماء، عزو القول إلى قائله، الاعتزاز بالعلم، احترام الوقت واغتنامه وتنظيمه، التكبير. كما خلص الباحثون إلى أهداف تربوية تعليمية مرتبطة بهذه المفاهيم تهدف إلى تحسين مستوى الفهم والإدراك لدى الطلبة بما يؤدي إلى رفع مستوى الإنتاج وثبوت الخير الإلهي فيه (البركة).

الكلمات المفتاحية: التعلم والتعليم، أخلاقيات التعلم والتعليم، بركة العلم

The Islamic Point of View on The Concept of Blessing and Its Significance in The Educational Process

ABSTRACT

The absence of the concept of blessing in the field of education in our modern-day and the wrong perception of it has led to many problems faced by our education system at various stages, and it is also a key factor in the lack of stability and growth in the production of knowledge and lagging behind by looking back at our nobles scientists in spite of progress and technology that God bestow on mankind of our time. Moreover, the absence of Islamic texts and the traditions of prophet S.W.T as well as the teaching methodology and curriculum of our righteous predecessors in our education system have contributed significantly to the declination of science among the Muslim community in the contemporary world. This study aims to explain the Islamic point of view on the concept of the blessing, and the educational goals that the Islamic concept of blessing

brings about into our education system. the researcher have collected, reviewed and analyzed many Islamic texts and extracted the concepts and the educational goals from those texts and sensitized them into nine concepts or categories as follows: Knowledge is associated with faith, understanding and prudence, sincere intention in seeking knowledge, avoiding argumentation, stick with the (group) and stay away from division, follow the ways of nobles scientists, giving credit to the original writer, give pride to knowledge, respect the time and take opportunity of the time and organize your time, habituate yourself to getting up early. The Researcher found out that the educational objectives related to these concepts can improve the level of understanding and awareness among students and raise the level of production and proof of the divine goodness in it (the blessing).

Keyword: learning and education, the ethics of teaching and learning, the blessing of knowledge

المقدمة

لقد أعطى الإسلام للعلم مكانة عظيمة، ورفيعة المستوى، وحض على طلبه وتحصيله، وجعله أساساً في التفضيل، فقد امتدح الله العلم والعلماء، ورفع شأنهم في كتابه الكريم قال تعالى (هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) الزمر: 9، وقال: (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ) فاطر: 19، وقال أيضاً (يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ) المجادلة: 11، وما أحوج الأمة في هذا الزمان وهي تعيش زمن التطور والحضارة إلى العلم. وما أحوجنا أيضاً إلى العمل بمقتضى هذا العلم؛ حيث تجد بعض الناس قد أعطاه الله علماً كثيراً لكنه بمنزلة الأمي، لم ينتفع بعلمه ولم ينفع غيره، ولا أفاد ولا استفاد، كما لم يظهر أثر العلم عليه في عبادته، ولا في أخلاقه وسلوكه ومعاملاته مع الناس؛ فهذا لم يبارك الله تعالى له في علمه، وحرمه الله من دوام خير علمه وسعته عليه في الدنيا، وكان حجة عليه في الآخرة.

إن البركة في معناها اللغوي هي: النماء والزيادة والسعادة (المصري، 1968). وقد أشار علماء الإسلام إلى معنى البركة حيث هي خارج نطاق الإنسان في زيادتها أو نمائها وفرق بينها وبين الزيادة؛ حيث لا يسند فعل البركة إلا إلى الله (فكل بركة زيادة وليس كل زيادة بركة) (العسكري، 1412). كما أن "كل بركة خير وليس كل خير هو بركة" فأينما كان موضع للبركة فثمة خير "فالخير هو العمل الحسن النافع، أما البركة فهي بمعنى دوام الخير وسعته واستقراره (الريشهري، 1423) وبذلك تكون البركة كما قال الأصفهاني هي: ثبوت الخير الإلهي في الشيء ودوامه واستقراره؛ فإذا حلت في قليل كثرته، وإذا حلت في كثير نفعته. (الموسوعة الفقهية، 1427). وقال أهل العلم: ولما كان فضل الله لا يُحصى ولا يحصر ويأتي للإنسان من حيث لا يحس ولا يحتسب قيل لكل ما يشاهد منه زيادة غير محسوسة: هو مبارك وفيه بركة.

لقد وردت كلمة البركة في كثير من المواضع في القرآن والسنة كلها منه سبحانه وتعالى حيث قال في كتابه العزيز: (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الثَّرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) الأعراف: 96، وهو سبحانه تبارك في ذاته وتقدس وتنزه وتعظم (المرسي، 2000) ويبارك فيمن شاء من خلقه قال تعالى (وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا) الزخرف: 85. ويطرح البركة فيما يشاء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (بينما أيوب يغتسل عرياناً، فخرَّ عليه جراد من ذهب، فجعل أيوب يحتثي في ثوبه، فناداه ربه: يا أيوب، ألم أكن أغنيك عما ترى؟ قال بلى وعزتكم، ولكن لا غنى لي عن بركتك). (البخاري أ، 1981) وكل ما نسب إليه سبحانه؛ فهو مبارك (تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ) الرحمن: 78.

البركة في القرآن

الكتاب المبارك: قال تعالى: (كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ) ص: 29. يقول صاحب الظلال: وهو يصف بركة القرآن: هو مبارك في حجمه ومحتواه فإن هو إلا صفحات قلائل ولكنه يحوي من المدلولات والإيحاءات والمؤثرات والتوجيهات في كل فقرة منه ما تحتويه عشرات الكتب (سيد قطب، 2000). وقال (السعدي، 2000): "أي فيه خير كثير، وعلم غزير، فيه هدى من ضلالة، وشفاء من كل داء، ونور يستضاء به في الظلمات، وكل حكم يحتاج إليه المكلفون، وفيه من الأدلة القطعية على كل مطلوب ما كان به أجل كتاب طرق العالم منذ أنشأه الله".

الرسول والدعاة مباركون بعلمهم وبأعمالهم الصالحة، ودعوتهم إلى الخير والهدى، قال عيسى عليه السلام: (وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا) مريم: 31، قال (السعدي،

(2000): "أي في أي مكان وأي زمان، فالبركة جعلها الله في تعليم الخير والدعوة إليه، والنهي عن الشر، والدعوة إلى الله في أقواله وأفعاله، فكل من جالسه أو اجتمع به نالته بركته، وسعد به مصاحبه". ونادى الله نوح عليه السلام (قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ) هود: 48، ودعا نوح عليه السلام ربه بالمنزل مبارك: (وَقُلْ رَبِّ انزِلْنِي مُنزلاً مُّبَارَكاً وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ) المؤمنون: 29، وألقى الله البركة على إبراهيم عليه السلام واله، قال تعالى: (وَبَشِّرْنَا هَٰؤُلَاءِ مِنْ الصَّالِحِينَ) * وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمَنْ دُرِّيَّتَهُمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ) الصافات: 113، وبارك فيه وفي أهل بيته، (رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ) هود: 73، وقوله: باركنا عليه وعلى إسحاق: أي أنزلنا عليهما البركة التي هي النمو والزيادة في علمهما وعملهما وذريتهما (السعدي، 2000). كما أن أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم مباركون، ويظهر هذا جلياً في الإسلام الذي انتشر في أقطار الأرض بسبب إخلاصهم وجهادهم وبذلهم أنفسهم وأموالهم على قلة عددهم وعدادهم، وفي الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "اللَّهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُ الْأَخِرَةِ فَبَارِكْ فِي الْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرَةِ" (النيسابوري، 1379). كما كانت بيعة العقبة الأولى خيراً وبركة، فإن الذين أسلموا على قلة عددهم، كفاهم شخص واحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هو مصعب بن عمير لأن يغير بهم المدينة ويقلب الأفكار والمشاعر الموجودة في مجتمعهم (النبهاني، 2002).

البيت المبارك: يقول تعالى: (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ) آل عمران: 96.

الماء المبارك: يقول تعالى: (وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جِبَاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ) ق: 9.

الأرض المباركة: يقول الله تعالى: (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى، الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ) الإسراء: 1. بكثرة الثمار ومجاري النهار (الموسوعة الفقهية، 1427).

الليلة المباركة: قال تعالى (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ) الدخان: 3.

البركة في السنة

المدينة المباركة: يقول النبي صلى الله عليه وسلم: "اللهم اجعل بالمدينة ضعفى ما جعلت بمكة من البركة" (البخاري "ب"، 1981).

الشجرة المباركة: يقول النبي صلى الله عليه وسلم: "كلوا الزيت وادهنوا به فإنه يخرج من شجرة مباركة" (الترمذي، 1983) والمقصود بالزيت هو زيت الزيتون، والدهن هو الذي يخرج من ثمرة زيت الزيتون.

التمر بركة: يقول صلى الله عليه وسلم: "إذا أظطر أحدكم فليظطر على تمر فإنه بركة" (الترمذي، 1983).

ماء زمزم بركة: يقول النبي صلى الله عليه وسلم عن ماء زمزم: "إنها المباركة هي طعام طعم وشفاء سقم" (الحميدي، 2002).

البيع والشراء: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدقا وبينا؛ بُورك لهما في بيعهما، وإن كذبا وكتما؛ مُحقت بركة بيعهما" (الحميدي، 2002).

الزواج: قال أبو هريرة رضي الله عنه كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا رفاً (أي إذا تزوج) قال له "بارك الله لك، وبارك عليك، وجمع بينكما في خير" (حنبل، 1999).

سعة الرزق وبركة العمر في صلة الرحم، قال النبي -صلى الله عليه وسلم: "من أحبَّ أن يُبسَّط له في رزقه، ويُنسأ له في أثره؛ فليصل رحمه" (الحميدي ج، 2002).

أول النهار بعد صلاة الفجر زمن مبارك: دعا النبي صلى الله عليه وسلم بالبركة في بدوِّ الصباح فقال: "اللهم بارك لأمتي في بكورها" (الألباني أ، 1421).

مشكلة الدراسة وهدفها

إن غياب مفهوم البركة عن ميدان التربية والتعليم في واقعنا المعاصر في بلاد المسلمين والفهم الخاطيء والمذموم له؛ يقف وراء كل مشكلة نواجهها في التعليم في شتى مراحلها، كما يعتبر عاملاً أساسياً في عدم الثبات والنمو في الإنتاج وتأخره عما كان عليه علماءنا وأئمة المسلمين رغم التقدم والتكنولوجيا التي من الله علينا بها في زماننا. وتهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن التصور الإسلامي لمفهوم البركة، وتوضيح أهميته في العملية التربوية التعليمية بما يؤدي إلى رفع مستوى الإنتاج وثبوت الخير الإلهي فيها (البركة) وذلك من خلال الإجابة على السؤال الآتي؛ ما التصور الإسلامي لمفهوم البركة، وما هي الأهداف التربوية التي يعكسها ذلك التصور على التربية والتعليم؟.

التعريفات الإجرائية

التصور: المعارف أو المعتقدات المرتبطة بموضوع البركة. **والمفهوم:** معنى عام أو فكرة مجردة تعبر عن مجموعة من الخصائص والصفات المشتركة في مفهوم البركة. **وبركة العلم:** قيمة معنوية وشعورٌ إيجابيٌّ من الله يشعر بها طالب العلم يثمر عنه صفاء نفس وطمأنينة قلبٍ وانسراح صدرٍ وقناعةٍ ظاهرةٍ ورضاً أمنٍ وتخطيط سليم يدفع به إلى درايةٍ حقيقيةٍ بكنه العلم أو تأثيره ومدى نفعه. **والعملية التربوية التعليمية:** هي الإجراءات والنشاطات التي تحدث داخل الفصل الدراسي والتي تهدف إلى إكساب المتعلمين معرفةً نظريةً أو مهارةً عمليةً أو اتجاهاتٍ إيجابيةً.

الطريقة والإجراءات

قام الباحث بجمع النصوص الشرعية - الآيات القرآنية والأحاديث والآثار - المتعلقة ببركة العلم واستقرائها، ومن ثم استخلاص المفاهيم والأهداف التربوية المرتبطة بها .

النتائج

للإجابة عن سؤال هذه الدراسة: ما التصور الإسلامي لمفهوم البركة، وما هي الأهداف التربوية التي يعكسها ذلك التصور على التربية والتعليم؟ قام الباحث بتحليل النصوص الشرعية أي الآيات والأحاديث والآثار المتعلقة بالعلم واستخلاص المفاهيم والأهداف التربوية التي من شأنها أن تطرح البركة في العلم وعرضها وتوضيحها في الجدول رقم (1)

مناقشة النتائج

بركة العلم قرينة بالإيمان بالله وبتعقل وتفهم الأسباب والأخذ بها:

إن من أهم الأمور التي لا بد لكل مسلم أن يعتقد بها هو تقوى الله عز وجل والإيمان به قبل طلبه للعلم؛ ومن ثم العمل بمقتضى علمه والأخذ بالأسباب، ويتضح ذلك الاقتران بين العلم والإيمان في قوله تعالى: (وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ) الروم: 56، فلا يمكن أن تتحقق بركة العلم بمعزل عن الإيمان بالله، فهي زيادة غير محسوسة، وخارج نطاق الإنسان في زيادتها، ولا يسند فعلها إلا إلى الله، فليست كل زيادة بركة، كما أن النمو والتطور في علوم الغرب وغير المسلمين لا يمكن أن نسميه بركة، لأنها لا تمتلك صفة الدوام والاستقرار كما هو من شأنه أن يكون في البركة، فعلى طالب العلم المسلم أن يدرك أهمية اقتران العلم بالإيمان بالله والعمل بمقتضى علمه حتى يبارك الله له بهذا العلم. كما لا بد أن تكون نيته خالصة لله عز وجل في أن تعود المنفعة من علمه الذي تعلمه على المجتمع الذي يحيط به وبتحقق المنفعة للجميع بتحقيق المنفعة الشخصية لديه.

إخلاص النية في طلب العلم، (إفادة المخلوقين لإرضاء للخالق):

فلا بد لطالب العلم المسلم أن يصدق مع الله ويبدل قصارى جهده لإفادة المخلوقين في سبيل إرضاء الخالق وهذا ما أشار إليه ابن القيم بأن بركة العالم في صدقه تبليغه لعلمه وعدم كتمانها على الناس، وإن فعل عكس ذلك فإن الله يحق عليه بركة علمه. كما وتتضح مهمتنا في هذه الحياة في قوله تعالى (إني جاعل في الأرض خليفة) أي أصل وجودنا في هذه الحياة هو خلافة الأرض وكل علم نتعلمه في هذه الدنيا لا بد أن يعود بالنفع على أهل هذه الأرض. كما أن مفهوم المنافسة في حياة الطالب مع زملاءه لا بد أن يكون شرعياً ومحموداً لا مذموماً؛ والمنافسة المحمودة هي التي تكون ضمن المجموعة الواحدة وفي إطار التعاون والمحبة والأخوة الإسلامية وهدفها الانتصار والتنافس لإظهار الحقيقة والتفوق في الوصول إلى الهدف الذي يحقق الفائدة للجميع. ومن شروط هذه المنافسة الشرعية هو ترك المراء والجدال المذموم.

ترك المراء والجدال المذموم:

إن هدف الطالب المسلم في الحوار والمناقشة مع زملاءه الطلبة أو مع أساتذته ومعلميه الوصول إلى الحقيقة، وأن يقوم هذا الحوار على أساس العلم والحكمة فالجدال محمود ومطلوب لإظهار الحق، والمراء مذموم ومحرم لما فيه من تجريح وطعن في كلام الغير؛ لإظهار خلله واضطرابه، لغير غرض سوى تحقير فائله وإظهار مزيته عليه. وإن كان المماري على حق، فإنه لا يجوز له أن يسلك هذا السبيل؛ لأنه لا يقصد من ورائه إلا تحقير غيره والانتصار عليه. وحقيقة الجدل في الاصطلاح الشرعي: قتل الخصم ورده بالكلام عن قصده الباطل. وهو مأمور به على وجه الإنصاف وإظهار الحق. ويتضح لنا من خلال الحديث الذي رواه أبو أمامه بأن منزلة الذي يترك المراء والتصدي والتجريح والطعن في كلام الغير ببيت في الجنة حتى ولو كان محقاً، فإظهار الحقيقة لا يتم بالتجريح وإساءة الأدب مع الآخرين، لأن ذلك ما يسبب قساوة القلب وذهاب نور العلم وبركته. كما أن الابتعاد عن الأسباب التي تؤدي إلى الفرقة بين المسلمين وقساوة القلب والتشاحن والتباغض بينهم هو غاية وهدف من أهداف الإسلام

لزوم الجماعة وعدم الفرقة:

أن يلزم الطالب رأي الجماعة ما لم يكن فيه مخالفة شرعية وأن يدعو دائماً إلى الوفاق على الخير والتوافق معه وأن يبتعد عن كل ما يدعو إلى تفريق صف الطلاب ووحدتهم، وقد أشار الحديث الذي

رواه النعمان بن البشير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن في الجماعة رحمة وفي الفرقة عذاب ويتضح من خلال الحديث الذي رواه سلمان الفارسي أن هذه الرحمة تعني البركة وأن العذاب المقصود هو زوال البركة، ومن ثم الاختلاف بين الناس والنزاع والتشاجر فيما بينهم، وضياح للحقيقة والضلال والبعد عن دين الله. كما وأنه من أهم الوسائل التي تحافظ على استقرار الصفوف ووحدها تقدير أهل العلم وتقديم أهل السلف على الخلف.

اتباع أكابر (العلماء) وتقديم آرائهم على غيرها من الآراء:

إن أهمية احترام الطالب لأستاذه وتقديره وإعطاءه المنزلة التي تحفظ هيئته العلمية أمام الطلبة لا تقل أهمية عن غيرها من الوسائل التي تطرح البركة في علومنا، فهذا هو منهج علماءنا في تقديرهم لمن تلقوا العلم على أيديهم حتى لو خالفهم الرأي في بعض المسائل؛ فالخلاف في رأيهم لا يؤدي إلى الاختلاف فيما بينهم، واحترام رأي أكابر علمائهم هو السبيل في نظرهم إلى طرح البركة في علومهم اقتداءً بقوله صلى الله عليه وسلم "البركة مع أكابركم" كما وحذر الصحابي عبد الله بن مسعود رضي الله عنه من الإقبال على الأخذ من الأصاغر مع وجود الأكابر، لأن ذلك مما يفضي إلى الهلكة. فلا بد لكل طالب علم أن يحرص على مجالسة المجريين للأمور والأقرب على هدي الرسول والاقتراء بهم، والأخذ منهم، كما أن الرجوع إلى مصادرهم الأصيلة والتوثيق منها والإسناد إلى أصحابها هي فرعية مهمة ووسيلة من أهم الوسائل التي تحفظ هيبة أكابر العلماء وتقدير جهودهم والسعي في سبيل المحافظة على العلم.

عزو القول إلى قائله وإسناد الأمر إلى أهله:

فعلى طالب العلم أن يدرك أهمية التوثيق في البحث العلمي والتغلب على ما يسمى بظاهرة "السرقة العلمية" ويأتي ذلك في سياق تحذير رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنه: "إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة" (البخاري د، 1981) كما وقد أشارت الأدلة على نزع بركة الوقت في آخر الزمان كما ورد في حديث انس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان فتكون السنة كالشهر، والشهر كالجمعة، وتكون الجمعة كالיום، ويكون اليوم كالساعة، وتكون الساعة كالضربة بالنار). وكما قال ابن عبد البر: (إن من بركة العلم عزوه إلى أهله). فذلك من باب الأمانة العلمية وإذا عدت الأمانة فلا خير فينا ولا في علومنا التي نتعلمها، كما وأن ذلك مستندا على مبدأ إخلاص النية لله في إفادة المخلوقين والمنفعة التي تعود بالخير على الجميع، أما إذا كانت المنفعة هدفها شخصي وذاتي تقتضي تبني آراء الآخرين فذلك ما أشرنا إليه مما ينزع بركة العلم ويمحقها. كما أن الاعتزاز بحضارة الإسلام والمسلمين السابقة لحضارة الغرب وتقديم آراء علماء المسلمين على آراء غيرهم هو من باب إسناد الأمر إلى أهله.

الاعتزاز بالعلم والعلماء:

إن التواضع في سبيل طلب العلم والسعي في ملاحقة العلم والعلماء جانب من جوانب ثقة طالب العلم بنفسه واعتزازه بدينه الذي يحثه على ذلك، واقتداءً بعلماءنا وأكابرنا الذين بذلوا أنفسهم وأقبلوها على طلب العلم إنطلاقاً من مبدأ أن العلم يؤتى ولا يأتي، احتراماً لقدر العلم والذين يحملون هذا العلم، واعتزازاً بعلماء المسلمين وبآرائهم وتقديمها على آراء غير المسلمين. لأننا قوم أعزنا الله بالإسلام مهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله ومحق البركة من علومنا.

احترام الوقت واغتنامه وتنظيمه:

يأتي ذلك في جانب الأخذ بالأسباب المادية التي تجلب البركة، فعلى طالب العلم احترام الوقت واغتنامه وتنظيمه فهو عنصر أساسي في تحقيق الخير ونموه وأزدهاره، كما أن الله سبحانه وتعالى في كثير من الآيات الكريمة أقسم بالوقت وسخره في سبيل طلب الرزق وذكر الله وشكره، وفي سبيل طلب العلم، وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم باغتنامه، وحث أصحابه على استغلاله؛ فكان استراتيجية ذات أهمية كبيرة في منهج علمائنا عند تلقيهم للعلم وطلبه. وأهم استراتيجية كانوا يتبعونها هي التبكير في طلب العلم.

التبكير في الوقت:

إن حرص الطالب على أوقات الصباح وإدراك أهمية الدراسة فيها واستغلالها في طلب العلم تطبيقاً لقسم الله وتعظيمه للوقت قال تعالى (وَالصُّبْحُ إِذَا تَنَفَّسَ) التكوير: 18 وقوله تعالى (وَالْفَجْرُ* وَلَيَالٍ عَشْرًا) سورة الفجر: 1، كما يأتي ذلك في جانب العمل بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم (بارك الله لأمتي في بكرها) فطلب العلم في وقت الصباح من أهم الأسباب المادية التي تجلب البركة والأسباب المعنوية المتمثلة في الاستجابة لقول الله تعالى وحث رسوله صلى الله عليه وسلم على استغلال وقت الصباح.

الخلاصة

إن النقطة التي تلفت النظر في هذا البحث من خلال النصوص القرآنية والحديثية والآثار، هي التجاور الذي يبرز في النصوص بين العوامل المعنوية للبركة والأسباب المادية لها، فمن جهة تتحدث النصوص عن التقوى والدعاء والصلاة وأمثال ذلك بوصفها مبادئ للبركة، ومن جهة أخرى تراها تعتبر العمل رصيماً للبركة وعنصر أساسي في تحقيق الخير ونموه وأزدهاره، والمعنى الذي يبرز من ثانياً هذا التجاور والجمع بين المعنوي والمادي في إطار مركب واحد، أن الإيمان بتأثير المعنويات في الخير والبركة لا يعني في الرؤية الإسلامية نفي الأسباب والعلل المادية أو التقليل من أهميتها في تحقيق التنمية. وكما أن القيم المعنوية لها تأثير في البركات المادية من منظور الرؤية الإسلامية فإن البركات المادية تقود إلى تقوية القيم المعنوية، وهذا هو المنهج الذي وضعه الإسلام لتكامل الإنسان على أساس التكامل المعنوي والتنمية المادية، فالإنسان وهبه الله العقل والفطرة وزوده أيضاً بالوحي الذي جاء معينا للعقل والفطرة ليستفيد من بركات ذلك كله ويوظفه لتحقيق تكامله وبلوغ مقصد الإنسانية.

كما أنه لا بد أن نشير إلى حقيقة عقائدية وهي أن الله سبحانه وتعالى هو الذي يملك أن تزداد البركة في الشيء فلا يصح أن يطلب ذلك من مخلوق (الفوزان، 1421)، فلا بد من توكيل وإثبات الخير الإلهي في كل شيء، ولكننا محتاجون في مثل هذه القضايا إلى الأسباب والوسائل لتحقيق الخير الإلهي، لأننا إذا قلنا ثبوت الخير الإلهي دون الأخذ بالأسباب فإن ذلك يدخل في باب التواكل المنهي عنه شرعاً، وتنتقل البركة من معناها المراد والمحمود إلى المعنى المذموم "العشوائية" أي أن البركة تحصل دون تخطيط مسبق وربما دون دراية حقيقية بكنه العمل أو تأثيره فأبي معتقد لا بد أن ينتقل إلى ناحية السلوك حتى تتحقق الغاية الإلهية في خلافة الأرض وتسيير الأمور بمسبباتها. ومن ذلك نستطيع أن نعرف البركة بأنها: قيمة معنوية وشعور إيجابي من الله يشعر به الإنسان بين جوانحه، يثمر عنه صفاء نفس وطمأنينة قلب وانسراح صدر وقناعة ظاهرة ورضا آمن وتخطيط سليم يدفع به إلى دراية حقيقية بكنه العمل أو تأثيره ومدى نفعه. هكذا يثبت الخير الإلهي ولا يمكن أن يكون ذلك عشوائياً دون منهجية في العمل، ودراسة السلوك ونتائجه.

إن سبب تقدم غير المسلمين علينا إهمالنا وتفريطنا في الجانب المادي والجانب المعنوي معاً، فلم نتوكل على الله حق التوكل ولم نخلص النية لله عز وجل ولم نقصد تحقيق المنفعة للمخلوقين، بل كل منا يعمل ليرفع من نفسه ويستفيد هو دون الشعور أو التفكير بغيره كما أننا لم نأخذ بالأسباب واندرجنا تحت العشوائية التي ذمها الإسلام. في حين أن غير المسلمين تقدموا علينا بالعمل والجد والاجتهاد وأخلصوا العمل لإفادة مجتمعاتهم وتحقيق مصلحة دولهم التي ينتمون إليها وبذلك يكونوا قد تقدموا علينا في جانب العمل والأخذ بالأسباب إلا أن تقدمهم هذا لا يمكن أن نسميه بركة أو أن الخير الإلهي ثبت فيه بل يتم اعتباره على أنه مجرد زيادة وتطور وتقدم لا أكثر لأنه يفقد صفة الدوام والسعة في الخير واستقراره.

لو نظرنا إلى ما كان عليه علماءنا الأبرار وكيف كان حرصهم على العلم وحجم الإبداع والإنتاج الذي استطاعوا بفضل الله وبتوفيقه أن يحققوه، لقد تركوا لنا إنتاجاً لا يكاد العقل أن يتصوره، حيث أجرى العلماء من بعدهم ما يشبه الإحصاء فوجدوا أنه بالرغم من أن بعض العلماء لم تتقدم به السن (كالإمام النووي الذي عاش خمسة وأربعين سنة فقط) تركوا من المؤلفات ما لو وُزِعَ على أيام عمرهم منذ الولادة إلى الموت لأصاب كل يوم عدة كراريس؛ كتابة وتأليفاً، كيف انفسح المجال واتسع الوقت لهؤلاء كي يطلبوا العلم ويكتبوا في العلم؟ بل كيف أمكن لهم الإنتاج الغزير الذي لا يتحملة العقل؟

لقد كان منهج علماءنا بأنهم لا يتعلمون من العلم إلا ما ينعكس أثره بصورة مباشرة على حياة الناس، أي ما كانت له ثمرة عملية يستفيد منها الناس، كانوا يعلمون أن العلم حجة لك أو عليك، لهذا السبب خلصت نيتهم منذ البداية، لم يطلبوا العلم للممارسة ولم يطلبوا العلم للتجمل والترزين، وإنما طلبوا العلم للعمل، فبورك لهم فيما طلبوا ونفع الله بعلمهم كما تجدهم يكررون في كتبهم أموراً واضحة، لكنها عظيمة البركة والخير، حتى أصبحت دعائم الإسلام وشرائعه من البديهيات عند المسلمين (الشنقيطي).

نحن حينما نقارن بين هذا وبين الأحوال التي نحن عليها، نكتشف أن هنالك شيئاً غائباً عن الساحة عندنا، شيئاً مفقوداً لدينا، كان موجوداً ومتحققاً لدى أولئك العلماء الأعلام. بالرغم مما تعج به مدارسنا من تكنولوجيا خاصة بالعلم؛ من استراتيجيات تعليمية حديثة، ووسائل تربوية عالية المستوى، ومعامل ومختبرات مجهزة بكل ما يلزم لطالب العلم. روى (البخاري، 1987) في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم، وتكثر الزلازل، ويقارب الزمان، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج - وهو القتل - حتى يكثر فيكم المال فيفيض". وروى الترمذي في سننه عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تقوم الساعة حتى يقارب الزمان فتكون السنة كالشهر، والشهر كالجمعة، وتكون الجمعة كالיום، ويكون اليوم كالساعة، وتكون الساعة كالضربة بالنار". قال (العسقلاني، 1424): المراد هو نزع البركة من كل شيء حتى من الزمان. وقال (المباركفوري، 1990) في تحفة الأحوذني: قال التوربشتي - رحمه الله - يحمل ذلك على قلة بركة الزمان، وذهاب فائدته في كل مكان، أو على أن الناس لكثرة اهتمامهم بما دهمهم من النوازل والشدائد وشغل قلبهم بالفتن العظام، لا يدرون كيف تنقضي أيامهم ولياليهم، قال العلماء في شرح هذين الحديثين وأمثالهما، يبين ذهاب بركة الوقت بمرور الزمان، وأنه كان يحصل للسلف من البركة في الوقت ما لا يحصل لمن بعدهم، وقال بعض أهل العلم: كلام المتأخرين كثير قليل البركة، بخلاف كلام المتقدمين فإنه قليل كثير البركة (الحنفي، 1418).

إن غيبة منهج الإسلام في باب التعلم والتعليم مسؤولية عن تقلص العلم في مجتمع المسلمين المعاصر فقد ولدت ضجيج المدارس الحديثة والمذاهب الحديثة في التربية والتعليم والتي طغت على منهج الإسلام في العلم والتعلم كما أن غيبة منهج الإسلام في الاقتصاد مثلاً ولدت ما يسمى تارةً بالشيوعية وأخرى بالاشتراكية وأخرى بالرأسمالية إلى آخر هذه القائمة. وغيبة منهج الإسلام في السياسة ولدت الديمقراطية والديكتاتورية والفاشية والنازية وما أشبه ذلك، وغيبة منهج الإسلام في الأخلاق والسلوك

ولدت هذه المناهج الأخلاقية التي يُعنى بها الفلاسفة، وغيبة منهج الإسلام في علم الاجتماع مسؤولة عن تعدد المناهج والمذاهب الاجتماعية المعروفة في هذه الأيام .

المراجع

- القرآن الكريم.
- ابن عبد البر، يوسف. (1398). **جامع بيان العلم وفضله**. دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن قيم الجوزية، محمد. (1973). **اعلام الموقعين عن رب العالمين**. تحقيق طه عبد الرؤوف سعد. دار الجليل، بيروت (4) 175.
- أبو داود، سليمان بن الأشعث. (1998) **كتاب السنن (سنن أبي داود)**. مؤسسة الريان. رقم (4800) [www.ibnothaimeen.com/all/eBook-444\(2\).a.shtml](http://www.ibnothaimeen.com/all/eBook-444(2).a.shtml)
- الألباني أ، محمد. (1421). **صحيح الترغيب والترهيب**. ط1. مكتبة المعارف بالرياض. (2) 142
- الألباني ب، محمد. (1421). **صحيح الترغيب والترهيب**. ط1. مكتبة المعارف بالرياض. رقم (126).
- الألباني ج، محمد. (1421). **صحيح الترغيب والترهيب**. ط1. مكتبة المعارف بالرياض. رقم (3355).
- الألباني أ، محمد. (1987م). **السلسلة الصحيحة**. ط2. مكتبة المعارف، الرياض. (3/36)
- الألباني ب، محمد. (1987م). **السلسلة الصحيحة**. ط2. مكتبة المعارف، الرياض (3) 380.
- الألباني، محمد. (1987م). **السلسلة الصحيحة**. ط2. مكتبة المعارف، الرياض رقم (667).
- الألباني، محمد. (1988). **صحيح الكلم الطيب لشيخ الإسلام ابن تيمية**. المكتب الإسلامي للنشر، بيروت.
- الأزهري، أحمد بن عبد البر. (1398). **جامع بيان العلم وفضله**. دار الكتب العلمية. بيروت. (1) 117.
- البخاري "أ"، محمد. (1981). **صحيح البخاري**. دار الفكر، بيروت. (16) 74.
- البخاري "ب"، محمد. (1981). **صحيح البخاري**. دار الفكر، بيروت. (7) 155.
- البخاري "ج"، محمد. (1981). **صحيح البخاري**. دار الفكر، بيروت. (1) 1.
- البخاري "د"، محمد. (1981). **صحيح البخاري**. دار الفكر، بيروت. (1) 59.
- البخاري، محمد. (1987). **الجامع الصحيح المختصر**. تحقيق د. مصطفى البغا. دار ابن كثير، بيروت.
- الترمذي أ، محمد. (1983). **سنن الترمذي**. ط2، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان. دار الفكر، بيروت (3) 186.
- الترمذي ب، محمد. (1983). **سنن الترمذي**. ط2، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان. دار الفكر، بيروت (2) 84.
- حنبل، أحمد. (1999). **مسند الإمام أحمد بن حنبل**. ط2. تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون. مؤسسة الرسالة. (18) 141.
- حنبل، أحمد. (1988). **العلل ومعرفة الرجال**. تحقيق وصي الله بن محمود عباس. ط1. المكتب الإسلامي، بيروت.
- الحاكم النيسابوري، محمد. (1990). **المستدرک علی الصحیحین**. تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا. ط1. دار الكتب العلمية، بيروت. (3) 268 .
- الحميدي أ، محمد. (2002). **الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم**. ط 2. تحقيق عبدالرحمن محمد عثمان. دار الفكر، بيروت (2) 162.
- الحميدي ب، محمد. (2002). **الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم**. ط 2. تحقيق عبدالرحمن محمد عثمان. دار الفكر، بيروت (3) 186.
- الحميدي ج، محمد. (2002). **الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم**. ط 2. تحقيق عبدالرحمن محمد عثمان. دار الفكر، بيروت (2) 362.

- الحنبلي، ابن رجب. (2002). **فضل علم السلف على الخلف**. دار ابن حزم، بيروت.
- الحنفي، صدر الدين. (1418). **شرح الطحاوية في العقيدة السلفية**. تحقيق: أحمد محمد شاكر. ط1. وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، السعودية.
- الدمشقي، علي، يلقب بن عساكر. (1405). **تأريخ مدينة دمشق**. تحقيق: علي شيري. دار الفكر، بيروت. (61) 205.
- الذهبي، شمس الدين. (1993). **سير أعلام النبلاء**. تحقيق: نذير حمدان. ط9. مؤسسة الرسالة، بيروت. (8) 63.
- الريشهري، محمد. (1423). **الخير والبركة في الكتاب والسنة**. ط1. مركز بحوث دار الحديث، إيران.
- السعدي، عبد الرحمن. (2000 م). **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**. تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحي. مؤسسة الرسالة، بيروت.
- سيد قطب، إبراهيم، (2000). **في ظلال القرآن**. دار الشروق، القاهرة.
- الشنقيطي، محمد. **دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية**. رقم الدرس (417).
- الصنعاني، عبد الرزاق. (1403). **المصنف**. تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي. ط2. المكتب الإسلامي، بيروت. 377 (4).
- الطبراني، سليمان. (1985). **المعجم الكبير**. تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي. ط2. دار احياء التراث العربي. (9) 115.
- عبدالباقي، محمد. **اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان**
- عبدالباقي، محمد. **اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان**
- العسكري، الحسن. (1412). **الفروق اللغوية**. ط1. مؤسسة النشر الإسلامي، إيران.
- العسقلاني، أحمد. (1424). **فتح الباري شرح صحيح البخاري**. ط2. دار المعرفة، بيروت. (13) 223.
- الفوزان، صالح. (1421). **الإرشاد الصحيح إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد**. ط5. دار ابن الجوزي، القاهرة.
- المباركفوري، محمد. (1990). **تخفة الأحوذني شرح جامع الترمذي**. دار الكتب العلمية، بيروت.
- المرسي، علي، يلقب بابن سيده. (2000). **المحكم والمحيط الأعظم في اللغة**. دار الكتب العلمية، بيروت.
- المروزي، محمد. (1416). **ما رواه الأكابر عن مالك**. ط1. تحقيق: عواد الخلف. دار المعرفة، بيروت.
- المصري، محمد. (1968). **لسان العرب**. ط1. دار صادر، بيروت.
- المكي، الموفق. (1903). **مناقب الامام الاعظم ابي حنيفة**
- المناوي، عبد الرؤوف. (1994). **فيض القدير وشرح الجامع الصغير**. ط1. دار الكتب العلمية، بيروت. (3) 47.
- الموسوعة الفقهية الكويتية. (1427). **وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت**. (10) 69.
- النبهاني، تقي الدين. (2002). **الدولة الإسلامية**. ط7. دار الأمة، بيروت.
- النيسابوري، محمد. (1990). **المستدرک على الصحيحين**. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. ط1. دار الكتب العلمية، بيروت.
- النيسابوري أ، مسلم. (1379). **صحيح مسلم**. دار الفكر، بيروت. (1) 11.
- النيسابوري ب، مسلم. (1379). **صحيح مسلم**. دار الفكر، بيروت. (1) 12.

نبذة عن الكتاب

الدكتور وائل معين إسماعيل، الأستاذ المساعد، قسم الأسس التربوية والإنسانية، كلية التربية، جامعة مالايا.

رحيمي محمد سعد، الأستاذ بقسم الأسس التربوية والإنسانية، كلية التربية، جامعة مالايا.

الدكتور زواوي إسماعيل، الأستاذ المساعد، قسم تعليم اللغة ومحو الأمية، كلية التربية، جامعة مالايا.

